كنوز الحكمة
أمثال 1:1 - 5

- **الدرس الثاني**

إذاً، بدأنا في السابق نتدارس سفرَ الأمثال الشيق وتوقفنا عند نهاية المقدمة. قلنا إن السفر هو أحد الأسفار الشعرية في الكتاب المقدس كتبه سليمان الحكيم وآخرون. هو سفر الحكمة الأسمى، والمثل هو قولٌ يحمل حقيقةً مُحدّدة ولكن بأسلوب كلاميّ بليغ وموجّه لإيصال الحقيقة المقصودة. الأمثال هي عبارات قصيرة مُستمدّة من اختبارات طويلة. الآية المفتاحية في سفر الأمثال نجدها في الفصل الأول: " مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ، أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ " (أمثال 7:1).

يخلو سفر الأمثال من أي عبارة غير علمية أو ملاحظة غير دقيقة. وهو سفر على مستوى أخلاقيّ رفيعٍ وسامي. لا تُناقض الأمثال نفسها بنفسها، في الوقت الذي تتناقض فيه الكثير من أمثال الإنسان بعضها مع بعض. يرسم السفر صورة شابٍ في مقتبل عمره. تلقّن هذا الشاب أول دروسه في أمثال الفصل الأول والآية السابعة والتي هي مفتاح هذا السفر بأكمله.

هذا السفر ليس مزيجاً أو خليطاً من عبارات غير مترابطة، ولا هو مجرّد سرد أحاديث أو مقالات، ولكنه كتابٌ ذو معنىً عظيم ومنطق شديد وترابط وترتيب منهجيّ عظيم. التركيب الأدبي لهذه الأمثال هو في الغالب بشكل بيتين من الشعر. وكل بيت من هذين البيتين يرتبط بالآخر بما يمكن تسميته توازٍ أو شبه تطابق، وذلك بحسب الشعر العبري. أرجو أن الدراسات القادمة في سفر الأمثال ستقدم لك العون اللازم لحياة تمجد الرب.

قد لا تــعتبر سفرَ الأمثال قصةً مثيرةً ولكنه كذلك في واقع الأمر يا صديقي. أُصلّي أن نتّفق مع روح الله ونحن ندرس هذا السفر إذ أنه يحمل رسالةً حقيقيةً لكلٍّ واحدٍ منا. هو موجّهٌ بطريقةٍ عمليةٍ إلى الشباب، ولكنه ينطبق على الشابات أيضاً، فهو يحمل رسالةً معينة لعمر الحداثة. اليوم – وكما كان في السابق – يبحث الشباب عن أجوبة لأسئلة الحياة المختلفة. ويمكننا أن نجد إجابات على معظم هذه الأسئلة في سفر الأمثال.

أُريدك صديقي أن تُلاحِظَ ونحن ندخل إلى هذا السفر بأنه ليس عشوائياً في ترتيبه، بل يحمل رسالةً مُحدّدةً. أعرفُ الكثير من الناس الذين يشعرون بأنه يمكنهم أن يأخذوا أي مثلٍ يُريدونه من السفر دون اعتبارٍ للنص الذي أُخِذَ منه. قد يكون هذا صحيحاً ولكن يجب علينا أيضاً أن ننظرَ إلى جو النص الذي يُذكر فيه هذا المثل. فالجوهرة تنتمي إلى مكان خاصٍ بها، وفي هذه الحالة المكان الخاص هو سفر الأمثال.

قد يميل البعضُ إلى قراءة سفر الأمثال وكأنه مُعجمٌ يحتوي على بعض الأفكار القصيرة الممتعة. فإن كنتَ أنتَ من هؤلاء الأشخاص، أُصلّي أن تراه بطريقةٍ مختلفةٍ بينما ندرس هذا السفر معاً.

والآن لنقرأ بعض الآيات من الفصل الأول من سفر الأمثال الآيات السبع الأولى..

1أَمْثَالُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ: 2لِمَعْرِفَةِ حِكْمَةٍ وَأَدَبٍ. لإِدْرَاكِ أَقْوَالِ الْفَهْمِ. 3لِقُبُولِ تَأْدِيبِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالاسْتِقَامَةِ. 4لِتُعْطِيَ الْجُهَّالَ ذَكَاءً، وَالشَّابَّ مَعْرِفَةً وَتَدَبُّرًا. 5يَسْمَعُهَا الْحَكِيمُ فَيَزْدَادُ عِلْمًا، وَالْفَهِيمُ يَكْتَسِبُ تَدْبِيرًا. 6لِفَهْمِ الْمَثَلِ وَاللُّغْزِ، أَقْوَالِ الْحُكَمَاءِ وَغَوَامِضِهِمْ. 7مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ، أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ.

إذاً،" أَمْثَالُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ مَلِكِ إِسْرَائِيلَ: " هذا يؤكد بأن الكاتب هو الملك سليمان. ومن الواضح أن سليمان قام بتجميع عدّة أمثال من أكثر من مصدر. فقد كان هو المُحرِّر لجميع الأمثال وكاتبَ بعضها. كما ونعلمُ أيضاً بأنه كتب مجموعة أمثال أكثر من تلك المذكورة في هذا السفر.

الجزء الأول من سفر الأمثال يُعدُّ مفارقةً بين الحكمة والحماقة، ونجد هذا في الفصول التسعة الأولى من السفر. عدد 2-4 " لِمَعْرِفَةِ حِكْمَةٍ وَأَدَبٍ. لإِدْرَاكِ أَقْوَالِ الْفَهْمِ. لِقَبُولِ تَأْدِيبِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعَدْلِ وَالْحَقِّ وَالاسْتِقَامَةِ. لِتُعْطِيَ الْجُهَّالَ ذَكَاءً، وَالشَّابَّ مَعْرِفَةً وَتَدَبُّرًا." هناك عشر كلمات مذكورة في هذا المقطع تبدو مترادفة ولكنها ليست بنفس المعنى – مع أنها مرتبطة ببعضها البعض. أودّ أن آخذ هذه الكلمات لندرسها بأكثر تدقيق. فهي ليست مترادفات، ولا هي مجموعة كلمات وُضِعَت في بداية السفر لتعطي مقدمة مؤثرة وقوية. فكلّ كلمة من الله نقيةٌ وطاهرة، لذلك دعنا صديقي ننظر إلى بعض هذه الكلمات.

يقول:" لِمَعْرِفَةِ حِكْمَةٍ ". ما معنى كلمة حكمة؟ إن كلمة " الحكمة " تستخدم في الكتاب المقدس بمعنى " المقدرة على استخدام المعرفة بطريقة صحيحة ". تظهر هذه الكلمة في سفر الأمثال وحده تسعاً وثلاثين مرة. هي كلمة رئيسةٌ في الكتاب المقدس، وتعني الاستخدام الصحيح للمعرفة. هناك الكثير من العباقرة الذين لديهم المعرفة ولكنهم يفتقرون إلى الحكمة، فهم لا يستخدمون معرفتهم بطريقة صحيحة.

دعني أُضيف أمراً ما هنا. الحكمة في العهد القديم تعني يسوع المسيح للمؤمن اليوم. قد تكون هذه العبارة صدمة للبعض لكنها حقيقة واقعة، الحكمة في العهد القديم هي الرب يسوع المسيح. يقول بولس الرسول: " وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً " (1كورونثوس 1 : 30). لاحظ صديقي أن الحكمة تحتل المركز الأول، فالمسيح هو الحكمة للمؤمن اليوم. ولكي تعرف الحكمة عليك أن تعرف يسوع المسيح. لقد كان طموح بولس كما تحدّث عنه هو " لأعرفه " لأعرف المسيح، لأعرف الحكمةَ السرمدية (فلبي 10:3) ويا ليت هذا الطموح – طموحَ معرفة المسيح – يملأ نفوسنا وقلوبنا اليوم، وما أحوجنا إليه!

نعم، الحكمة هي المسيح. الحكمة هي المقدرة على استخدام معرفتك بطريقة صحيحة. فبمعرفتك للمسيح تكون شخصاً حكيماً وليس جاهلاً. رأيت ذات يومٍ مُلْصقاً مكتوباً عليه: " الرجال الحكماء ما زالوا يطلبونه ". صديقي، قد لا تكون عبقرياً، ولكن عندما تقبل المسيح وتعرفه فعندئذ أنت تمتلك الحكمة.

الكلمة الثانية في نص تأملنا هي " الأدب ". تظهر كلمة الأدب ستاً وعشرين مرة في سفر الأمثال، وهي بنفس معنى كلمة " الإرشاد " في اللغة العبرية – وهذا أمرٌ مُلفِتٌ للانتباه. دعني أُعطيك مثالاً على هذا. الآية في أمثال 23 : 14 تقول، " تَضْرِبُهُ أَنْتَ بِعَصًا فَتُنْقِذُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَاوِيَةِ ". والتأديب هنا بمعنى إعطاء التوجيه والإرشاد. لذا فإن كلمة " الأدب " تعني التعليم مُستخدماً النظام والتأديب.

هذه حقيقة منسيةٌ اليوم، ومجتمعنا المعاصر بكل تأكيد لا يتماشى مع كلمة الله. فمثلاً يُقال لنا بأن من يكسر القانون يوضع في السجن لتأديبه وإصلاحه، ولكن ليس هذا هو القصد في التعامل مع المجرمين حسب كلمة الله. فالهدف الحقيقي هو الإدانة والعقاب ولم يُعْطَ أيُ سبب آخر غير ذلك. من ناحيةٍ أخرى، وفي تعاملك مع ابنك، أنت تؤدّبه لأن هذا جزءٌ من إرشادك وتوجيهك لـه. فعليك أن تُعلّمَه مُستخدماً النظام والتأديب دون أن يكون هدفُك مُعاقبتـه. كثيراً ما نسمع، " يجب على الولد أن يُعاقبَ! " لا، فليس هذا هو الهدف من ضربك لابنك الصغير. أنت لا تضربه لِتُعاقبه، بل لتُعلّمه مؤدباً إياه. لقد اختلطت علينا الأمور والأهداف في يومنا هذا – فنحن نؤدب المجرمين ونُعاقب أولادنا. علينا أن نعود مرةً أخرى إلى مقاصد الله وأهدافه. تتّبِعُ مدارسنا اليوم" أساليب جديدة " في التعليم. ولكن ماذا عن أُسلوب التعليم بواسطة التأديب؟ لقد أُلغِيَ تماماً من قاموسنا. أؤمن بأنه يجب تطبيق قواعد التربية على مقاعد التعليم – سواء كان ذلك في المدرسة أو في المنزل. سؤل أحدُ الآباء " هل تضربُ أبناءَك؟ " فأجاب الأب: " فقط للدفاع عن النفس ". فلقد أصبح هكذا هو الحال في هذه الأيام – فالأبناء هم الذين ينشئون آباءَهم! هم الذين يؤدّبون والديهم مُخبرين إياهم بما يجب أن يفعلوا. سمعتُ مؤخراً عن شابٍ ألقى محاضرةً على ذويه موضّحاً لهم ماذا يجب أن يفعلوا وماذا يجب ألا يفعلوا، ولقد كان ذلك الشاب قد خرج لتوّه من السجن تحت الكفالة! أعتقدُ أنه كان على الأهل أن

يسمعوا محاضرةً ولكن ليس من الابن، فقد كان يجب أن يأخذوا درساً في كيفية تأديب ابنهم سنيناً قبل ذلك. الإرشاد إذاً، هو التعليم تحت التأديب، وما أبرع إلهنا وأبانا السماوي في التعليم بهذه الطريقة.

كلمة أخرى نتأمل بها اليوم" لإدراك أقوال فهم ". الفهم يعني الذكاء. وهناك كلمة أخرى لذلك وهي: التمييز. علينا أن نُدرك أن الله يتوقع منا أن نستخدم ذكاءنا. فهو يتوقع منا أن نُحكِّمَ عقلنا للمنطق المقدس.

تَرِدُ أيضاً كلمة " العدل " في العدد الثالث، والعدل هو البر ويعني " السلوك الصحيح ". أذكرُ أُستاذاً في علم الاجتماع كان يُعلّمنا بأن الحق هو أمرٌ نسبيٌّ. لقد كان يسأل باستهزاء، " ما هو الصواب؟" لم أكن أعرف الجواب آنذاك، ولكنني أعلم أن الصواب هو ما يقولـه الله إنه صواب. إن الله هو من يفصلُ النور عن الظلمة. لا أستطيعُ أن أجعل الشمس تُشرق ُولا يمكنني أن أجعلها تغيب. الله وحده هو الذي يُدير الكون. هو الذي يصنع النور وهو الذي يصنع الظلام. الله هو الذي يُعلن ما هو صواب وهو الذي يُعلن ما هو خطأ. يمكنك أن تسأل، " هل من الصواب أن أقومَ بهذا الأمر؟" إنْ قال الله إنه صواب فهو كذلك. أو بإمكانك أن تسأل: " هل القيام بهذا الأمر خطأ؟ " هو خطأ إنْ قال الله عنه كذلك. فالصواب والخطأ ليست أُموراً نسبية إلاّ في عقل الإنسان الطبيعي المُعاصر. الشعور السائد اليوم هو أن ما يقوم به الإنسان الطبيعي يُصبحُ هو المقياس. وهذه هي إحدى الأسباب لانتشار اللاأخلاقية والفساد في عالمنا اليوم. فقد أمسى " الصواب " و" الخطأ " مصطلحين نسبيّين. ولكن اللهَ يقول عكس ذلك، فهي أُمورٌ مطلقة مثل النور والظلمة.

الكلمة التالية هي " الحق "، وهذا يعني بأنه علينا أن نُصدِرَ أحكاماً. وهو بنفس معنى اتّخاذ القرار. يأتي المؤمن إلى تقاطعٍ للطرق في حياته، وعليه أن يتّخذ القرار في أيِّ طريقٍ يسلك. قال د. مكغي: ذاتَ مرة جاءتني دعوة للخدمة في منطقة في شرق البلاد في نفس الوقت الذي جاءتني فيه دعوة للخدمة في منطقة في غرب البلاد. وبصراحة، لم أكن أعلم إلى أين أذهب. كان علي أن آتي بالأمر إلى الرب، كما كان عليّ أن أمتحن بعض الأمور. وبعد أن اختبرت الأمور قررتُ الذهاب إلى المنطقة الغربية، وأشكر الله على ذلك. علينا أن نتّخذَ القرارات في حياتنا كأبناء الله.

هناك أيضاً " الاستقامة ". هذا يُشير إلى مبدأ أكثر منه إلى مسلك. ابن الله ليس موضوعاً تحت القوانين، ولكننا نُعطَى مبادئ عظيمة لإرشادنا. فمثلاً رومية 14 : 22 تضع أمامنا مبدأ عظيما: " ... طُوبَى لِمَنْ لاَ يَدِينُ نَفْسَهُ فِي مَا يَسْتَحْسِنُهُ ". يجب على المؤمن أن يستحسن ويتحمس لما يقومُ به. هناك الكثير من التردّد في السلوك المسيحي اليوم. صديقي، المبدأ هو أنّك إنْ لم تقمْ به بحماس فلا تقمْ به من الأساس. فما نقومُ به يجب أن يكون بفرحٍ وتوقّعٍ وحماسٍ. يجب علينا أن نكون مقتنعين تماماً بأن ما نقوم به هو القرار الصحيح. يجب علينا ألا نعاني من تأنيب الضمير بعدما نقوم بذلك العمل. طوبى للرجل الذي لا يدينه ضميره في الأمور التي يسمحُ بها. فإنْ نظرتَ إلى الوراء إلى ما قمتَ به وقلتَ: " آهِ، أتمنى لو أنني لم أقم بهذا! " عندها يمكننا القول بأن ما قمت به كان خطأ. في المواضيع المحيّرة التي لا يذكرها الكتاب يكون هذا المبدأ العظيم متوفّراً لإرشادك في مسلكك. إنْ استطعتَ أن تنظرَ إلى يوم أمس وتقول: " هلليلويا، لقد كان يوماً رائعاً بالنسبة لي "، فعندها تعلمُ أنَّ ما قمتَ به هو الصواب.

مبدأ آخر هو أنه علينا أن نتحمل ضعفات بعضِنا البعض بدلاً من أن نرضيَ أنفسنا. علينا أن نسأل أنفسنا: " هل ما أقوم به يُسيءُ إلى أخي في المسيح؟ ". هذه مبادئ عظيمة للسلوك والتي يجب أن تُرشدَ المؤمن.

مصطلح آخر نجده في العددين الثالث والرابع من أمثال واحد هو" تعطي الجهال ذكاء ". أي التصرّف بتعقّل وبصيرة. فهذا يعني أن نكون حكماء في سلوكنا. يجبُ على ابن الله ألا يسلك بالجهل. وفي حديثه قال د. مكغي أيضاً: أَتَذَكَّرُ زوجين شابين ذهبا في خدمةٍ إرساليةٍ بالرغم من أنني نصحتهما بعدم القيام بذلك إذ لم يكونا مناسبين لذلك العمل. عادا بعد فترةً كجرحى، حيث حطّما حياتهما في قرارهما ذلك. لم يكونا عاقلين في قرارهما، ولم يُظهرا الحكمة

في ظروفهما الخاصة تلك. تذكّرْ صديقي بأن الرب يسوع قال: " ...كونوا حكماء كالحيّات وبسطاء كالحمام " (متى 16:10).

كلمة أخرى،" المعرفة " وهي المعلوماتُ المفيدة. هناك شعارٌ كان مكتوباً على لوحة الإعلانات في مختبر العلوم في إحدى الكليات. يقول د. مكغي: لقد نسيتُ جميع معادلات الكيمياء التي درستها ولكنني لم أنسَ أبداً ذلك الشعار الذي يقول: " بالإضافة إلى المعرفة، اعرفْ أين تجدها ". ولهذا السبب تكون دراستك للكتاب المقدس وقراءتك لـه أمراً مُفيداً – فإنْ لم تكنْ تعرفْ، يمكنك أن تعرف أين تبحث.

" تدبراً ". وهذا يعني تفكّراً واهتماماً. وهو مُوَجَّهٌ للشباب الطائشين الذين لا يهتمون بالآخرين. إنه دائماً لأمرٌ جميلٌ أن تجد مؤمناً متفكّراً وذا اهتمام بالآخرين. لقد كان د. مكغي على وشك القيام برحلة إلى منطقة باردة حين تقدّم إليه أحد الأخوة وأهداه سترةً جميلةً، فلقد كان مهتماً به. وهذه صفةٌ جميلةٌ يجب أن نحملها جميعاً.

سيساعدنا سفر الأمثال في إيجاد هذه الصفات الرائعة التي يجب أن تُشْمَلَ في حياتنا. ولكن علينا أن نكون حساسين لكلمة الله ومستعدين أن نكون لا سامعين فقط خادعين نفوسنا بل عاملين بالكلمة أيضاً.